

السينما الجزائرية الثورية (1957-1962م).

~~~~~ دة فاطمة طاهري \*

**مقدمة:** أدرك قادة الثورة الجزائرية منذ الوهلة الأولى أن نيل الحرية والاستقلال يتوقف إلى حد كبير على الكفاح المسلح أولاً ثم على الدعاية وتدويل القضية الجزائرية ثانياً، لذلك شكل الإعلام سلاحاً لا يمكن تجاهله في الحرب إلى جانب البندقية، خاصة بعد اتساع رقعة الثورة وشموليتها، وبروز عدة معطيات سياسية واجتماعية جديدة على الصعيد الوطني والدولي، وكانت السينما من بين الوسائل الإعلامية المعتمد عليها وإن تأخر ذلك مقارنة بالإذاعة والصحافة المكتوبة والمنشيرة... إلخ، فقد اتخذت الصورة الفيلمية والفتوغرافية مكانة جد هامة في الصراع بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية، كما ساعدت الأفلام والأشرطة الوثائقية المنتجة خلال هذه الفترة في ضبط تصور الثورة الجزائرية لدى الرأي العام الدولي وفصح حقيقة الاستعمار الفرنسي ومواجهة حربه النفسية والإيديولوجية.

فكيف نشأت السينما الثورية في ظل تلك الظروف الصعبة؟ وإلى أي مدى ساهمت هذه الوسيلة الإعلامية الدعائية في تدويل القضية الجزائرية وكسب الرأي العام الدولي لصالحها؟

**ظهور السينما بالجزائر:** عرفت الجزائر السينما في أواخر القرن التاسع عشر، فبعد عروض louis lumières<sup>(1)</sup> في باريس قام هذا الأخير بإرسال مجموعة من المصورين والمخرجين إلى الجزائر لالتقاط بعض الصور للمدن الجزائرية، فظهرت أولى الأفلام عن الجزائر كفيلم المسلم المضحك (le musulman Rigola) للمخرج جورج ميلياس (Georges melias) سنة 1897م، كما قام بإنتاج فيلمين آخرين وهما: "Ali Barbouyou" و "Ali" fouffe a l'huile<sup>(2)</sup>، كما أخرج Félix Mezguich<sup>(3)</sup> مجموعة من الأفلام من بينها " شارع باب عزون" و "سوق العرب" و"صلاة المؤذن"، وبذلك أصبحت الجزائر ابتداء من سنة 1905 مجالاً واسعاً للإنتاج السينمائي الاستعماري إذ تزايد عدد الأفلام المنتجة.

وأهم ميزة تميزت بها السينما الاستعمارية بالجزائر منذ نشأتها هي سيطرة العسكريين على استخدام وتوجيه الأفلام لأغراض دعائية، فالسينما

\* أستاذة محاضرة في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف المسيلة.

أدخلت للجزائر من طرف ثلاثة أصناف من الرجال حسبما يذكر عيسى شرايطية وهم: العسكري والمهاجر والمنظر، فقد تعاون المنظرون والأكاديميون مع العسكريين القائمين على السينما من أجل تطبيق أفكارهم وتوحيدها فيما يخص استخدامات الفيلم، فنجد الأكاديمي بول (Paul) يخاطب هؤلاء محييا: "إنني أرفع كأسني من أجل المخترعين، وإلى ازدهار الصناعات السينمائية، إنني أشرب محييا المسؤولين والجنود والعمال"<sup>(4)</sup>، ومن هنا يتضح أن الفيلم العسكري كان وسيلة مقصودة وضعت موضع التطبيق بالاتفاق بين العسكريين والمدنيين، وعلى غرار الأديب والأكاديمي فإن رؤية السينمائي، سواء كان المكتشف المولع أو غازي الإمبراطورية، أو العسكري، تتميز بالتلاحم والنظرة الواحدة، أي أن هناك توحد واندماج مدني-عسكري.

ومع بداية العشرينيات من القرن الماضي عرفت السينما الاستعمارية تطور في مجال تصوير وإنتاج الأفلام، فمن بين أبرز الأفلام التي عرضت ولاقت نجاحاً كبيراً فيلم أتلنتيد (l'Atlantide) للمخرج جاك فيدر (Feyder) سنة 1921، وقد استغرقت مدة تصويره ثمانية أشهر وصرف عليه مليوني فرنك فرنسي بنقود ذلك الوقت واستمر عرضه ببباريس سنة كاملة<sup>(5)</sup>، كما عرفت الجزائر خلال هذه الفترة قدوم موجة من المخرجين الشباب والهواة من مختلف الجنسيات، وتم إخراج ثمانية أفلام خلال سنة 1922م تلتها 24 فيلما ما بين (1923-1928م)، وأربعة عشر فيلما سنة 1929م.

قدمت هذه الأفلام في البداية صورة فلكلورية منمطة عن الجزائر، فالسينمائيون الاستعماريون لم يثر انتباههم في الجزائر غير شمسها وهوائها ومناظرها الطبيعية الخلابة، وكأنها أرض خالية من الحياة الاجتماعية، فلا وجود للإنسان الجزائري<sup>(6)</sup>، ومن أهم الأعمال التي جسدت هذا الاتجاه عدة أفلام من بينها فيلم "الواحة" وفيلم "الياقوتة الحمراء" وفيلم "حديقة الله (Jardin d'Allah)"، ثم انتقلت السينما الاستعمارية إلى إنتاج أفلام أخرى ركزت فيها على إبراز الإنسان الجزائري كمخلوق دوني غير قادر على التفكير ويحتاج لمن يدعمه، بالمقابل تصور الإنسان الأوروبي كشخصية منقذة وحاملة للحضارة، ثم أصبحت الأفلام عبارة عن مغامرات بطولية تبرز قوة وإيجابية الأوروبي وضعف وحماقة الجزائري كفيلم "Tartarin de Tarascon" للمخرج برنار ريمون (Bernard Reymond) الذي صور ببوسعادة، حيث أظهر الشخصية الجزائرية على أنها ساذجة وعلى درجة مضحكة من الغباء، بالإضافة إلى فيلم "وجوه محببة أرواح مغلقة (visage

voilés âmes closes) للمخرج روسيل هنري (Henri Roussel) الذي صور الجزائري من خلال شخصية "القايد" على أنه إنسان مستهتر ومحِب للملذات والقصص الغرامية التافهة، مع التركيز على تعاون هذا القايد مع الاستعمار وإعطائه كل ما يملكه حتى نساؤه، والمرأة هنا دلالة على الهوية والأرض<sup>(7)</sup>، وغيرها من الأفلام كـ "المغامر" للمخرج موريس ماريو، وفيلم "مغامرات شرقية"، وفيلم "Pépé le Moko" للمخرج جوليان دي فيفي، و"اللعبة الكبرى" (le Grand Jeu) لجاك فيدار (Jacques Feyder)، و"الصبيتان" و"اليتيمة" للويس فوياد<sup>(8)</sup>.

كما تطرقت السينما الاستعمارية<sup>(9)</sup> إلى مواضيع أخرى منها:

- المرأة الجزائرية التي جسدت في الأفلام على أنها جارية وغانية وغيرها من الصفات الغير أخلاقية التي تطعن في شرفها كـ فيلم " الشريفة مدام بيسون"، " ظل الحريم"، " السيمفونية الحزينة"، " الرغبة"، " المرأة والبلبل"، "العاصفة"، "سيدي بلعباس"، و"الغرب"<sup>(10)</sup>.

- انتصار الصليب على الهلال كـ فيلم " الطريق المجهول"، و"غولغوتا".

- عساكر الليف الأجنبي كـ فيلم "الغطس"، "بائع الرمل"، "الرقيب س"، "المنبوذون"، "وسام الشرف"، "واحد من الليف"، "الكتيبة البيضاء"، و"الموعد الكبير".

- الجزائر أرض الميعاد كـ فيلم "الرمال المتحركة"، "ريح السموم"، "حالة الجنوب"، "أساطير المنتصر"، "سراتي المرعب"، "في أفق الجنوب"، "الأمير جان"، "البلاد"، "نداء الصمت"، "ظمأ الرجال".

وغيرها من الأفلام التي اتسمت جميعها بالطابع العنصري وتزوير الحقائق وتزييفها ابتداء من الصور الأولى التي التقطها ميلياس و Mezguich إلى آخر فيلم سنة 1962م "زيتونة العدالة" أو "شجرة الزيتون العادلة"<sup>(11)</sup>، وقدرت هذه الأفلام بثمانين فلما ومئات الأشرطة الوثائقية.

أما عن اهتمام الجزائريين بالسينما فكان قليلا جدا، ومن بين السينمائيين الجزائريين الأوائل نجد الطاهر حناش<sup>(12)</sup> الذي عمل في التصوير السينمائي وشارك في تمثيل بعض الأفلام، وعمل مصورا إلى جانب كبار المصورين السينمائيين الفرنسيين، واستطاع الطاهر حناش أن يخرج بنفسه فيلمين وثائقيين بعنوان "قسنطينة"<sup>(13)</sup> كما أنتج فيلم آخر بعنوان "على أبواب الصحراء" سنة 1938 ويعتبر أول فيلم جزائري كما يذكر أحمد بجاي، وقد تحول ذا الفيلم مع مرور الوقت إلى شريط وثائقي بدون حوار، كما أنجز

حناش فيلم " غواصو الصحراء" في الفترة بين 1952 و1954م بمساعدة جمال شندرلي<sup>(14)</sup>.

وعلى الرغم من التزييف الفكري والإيديولوجي للسينما الاستعمارية إلا أنها أثرت ولو بعد فترة طويلة على الجزائريين، حيث اكتسبوا ثقافة سينمائية، وهو ما سيساعدهم على إنشاء سينما خاصة بهم بلمسة وبصمة جزائرية خلال سنوات الثورة الجزائرية، فاستخدمت جبهة التحرير الوطني إلى جانب البندقية الكاميرا والشريط الفيلمي لمواجهة الاستعمار الفرنسي، وبذلك ظهرت السينما الثورية الجزائرية في الجبال ومواقع تواجد جيش التحرير الوطني، وهو ما يميز السينما الجزائرية عامة من حيث النشأة والهدف والمسار عن جميع تجارب السينما في العالم ككل.

**نشأة السينما الثورية:** ظهرت السينما الجزائرية استجابة لحاجة الثورة التحريرية إليها، إذ كانت من بين الوسائل الإعلامية الأكثر تأثيراً التي اعتمد عليها قادة الثورة بغية مواصلة الكفاح وتحقيق الاستقلال، ففي البداية اتصلت جبهة التحرير الوطني سنة 1955م بجمال شندرلي لتكلفه بقطاع الإعلام خارج الوطن لصالح القضية الجزائرية<sup>(15)</sup>، ويعتبر جمال شندرلي المؤسس الأول لنواة التصوير الفوتوغرافي ثم السينمائي لجبهة التحرير الوطني.

وبعد انعقاد مؤتمر الصومام في أوت 1956م ألح ميثاقه على ضرورة إيجاد وسائل الدعاية لتوظيفها داخل وخارج الوطن، إذ نص على: " كل منشور أو تصريح أو حديث أو نداء من قبل جبهة التحرير الوطني أصبح له اليوم صدق في المحافل الدولية ولذا يجب علينا أن نعمل ونحن يحدونا شعور حقيقي بالمسؤولية ويشرف السمعة العالمية التي تتمتع بها الجزائر السائرة قدماً في طريق الحرية والاستقلال"<sup>(16)</sup>، وهي دعوة صريحة للاهتمام بالعمل الإعلامي بما في ذلك السينما التي أصبحت بمثابة سلاح إستراتيجي لمواجهة دعاية السينما الاستعمارية الرامية إلى تشويه صورة الثورة الجزائرية بالداخل والخارج.

ويرجع العديد من السينمائيين إلى أن ميلاد السينما الجزائرية الثورية كان سنة 1957م، وذلك بعد الاتفاق بين عبان رمضان والفرنسي رونييه فوتيه<sup>(17)</sup> على إنشاء أول مدرسة سينمائية جزائرية في أعالي الجبل "l'Ecole de Cinéma du Maquis" بالولاية الأولى بالمنطقة الخامسة وبالضبط في تبسة، وأطلق عليها اسم "فرقة فريد (Groupe Farid)"<sup>(18)</sup> نسبة إلى رونييه فوتيه الذي كان يلقب أثناء الثورة التحريرية ب"فريد"، ضمت هذه المدرسة مجموعة من الفنانين كانوا النواة الأولى للمخرجين السينمائيين وهم: محمد

قنز، علي الجناوي، جمال شندرلي، رونية فوتيه، بيار كليمونت، أحمد راشدي، فالنتين بولس، ثم التحق بهم لخضر حامينه<sup>(19)</sup>، وكان الطلبة بهذه المدرسة جنودا في صفوف جيش التحرير الوطني تلقوا المبادئ الأولية في السينما وصاروا عبارة عن تقنيين عملوا بدورهم على نقل صور الكفاح في الجبال، وتركيبها بعد ذلك وتحميضها في يوغسلافيا وفي برلين الشرقية سابقا قبل أن يستشهد أغلب الطلبة في الميدان أثناء المعارك، ومن بينهم: علي جنادي، عثمان مرابط، مراد بن رايس، صلاح الدين السنوسي، محمود فاضل، معمر زيتوني، عبد القادر حسينة، سليمان بن سمان،... إلخ<sup>(20)</sup>، ولم تصمد المدرسة بدورها أكثر من أربعة أشهر، وقد علق رونية فوتيه على مدرسة السينما الجزائرية قائلا: "إن مدرسة السينما للمنطقة الخامسة للولاية الأولى التي أنشئت في بداية 1957م لم تزدهر لأن أغلبية الناس الذين ينتمون إليها يكونوا قد قتلوا جميعا"<sup>(21)</sup>.

ورغم قلة الإمكانات إلا أن هذه المدرسة استطاعت أن تخرج عددا من الأفلام الوثائقية الهامة، ووزعت في البلدان الاشتراكية آنذاك للتعريف بالقضية الجزائرية<sup>(22)</sup>، وقد كان الأسلوب الذي سجلت به الأحداث وركبت به الصور يعتمد الرؤية اليسارية وهو ما أثار مخاوف عبان رمضان من تشبيه النضال الوطني الثوري بالثورة الشيوعية، كما كتب بن طوبال أيضا: "لقد تسلل الشيوعيون ويقومون بالدعاية الحزبية بيننا"<sup>(23)</sup>، وقد أكد على ذلك رونية فوتيه نفسه: "...طلب منا-ويقصد عبان رمضان- أن نقوم بتكوين فنيين جزائريين في الجبال... لم أكن عضوا في جيش التحرير الوطني، كانت لي آرائ، كنت شيوعيا وكنت أرغب في أن أكون حرا في إظهار آرائي"<sup>(24)</sup>.

ولما اشتدت المعركة المسلحة أصبح من الصعب الحصول على شحن المصورة بالأشرطة مما اضطر مصلحة السينما إلى الانتقال إلى تونس تاركة تبسة خلفها، وعندئذ ألحقت السينما الوطنية بوزارة الداخلية في الحكومة المؤقتة<sup>(25)</sup>، كما تم إرسال بعثة إلى البلدان الاشتراكية ليتكونوا فيها، وكان من بينهم محمد لخضر حامينه، أحمد راشدي، وعلي يحي، وغيرهم، وتذكر بعض المراجع أن سنة إنشاء هذه المصلحة هي 1958م، غير أننا نجد أحمد بجاوي يذكر كلاما آخر، حيث يذكر أنه في سنة 1959م تم إنشاء خلية الصورة والصوت وعين محي الدين موساوي كمنسق لجمع الصور في وزارة الإعلام التي يشرف عليها محمد يزيد، وقد ضمت هذه اللجنة بالإضافة إلى محي الدين موساوي، محمد لخضر حامينه، محمد بودية، كلودين وبير شولي، ورشيد آيت ابيدير المنتدب من طرف جيش التحرير الوطني، ويذكر

ببير شولي حول عمل هذه اللجنة:" كنا نحاول في هذه اللجنة اعتماد فلسفة للاتصال المصور"<sup>(26)</sup>.

كما يذكر أبو القاسم سعد الله أنه في 1959 أنشأت وزارة الأخبار قسما خاصا بالسينما، وقد تول تصوير ورصد حرائق القرى والمدن وإعداد الأفلام الوثائقية عن المعارك، لإبراز معاناة الشعب في صراعه اليومي مع السلطات الفرنسية، وقد تم إنتاج ستة أفلام وثائقية عن الثورة، واتفق مع بعض الشركات العالمية على توزيعها على محطات التلفزة، وفي نفس الوقت أنشأت وزارة الإعلام قسما للأسطوانات مهمته تسجيل الأناشيد والموسيقى الوطنية<sup>(27)</sup> والخطب والمحاضرات، وكانت الوزارة ترسل بهذا الإنتاج إلى مكاتب الإعلام المنتشرة في العالم، وقد أنتج هذا القسم، بناء على طلب محمد يزيد، واحد وعشرين أسطوانة<sup>(28)</sup> كما نجد معلومة أخرى مفادها أن الحكومة المؤقتة قامت بإنشاء مصلحة السينما ومدرسة للتكوين السينمائي سنة 1960م<sup>(29)</sup>.

غير أنه وبالنظر للأفلام التي تم إنتاجها خلال الثورة التحريرية كان من إنتاج مصلحة سينمائية واحدة وهي التابعة لجبهة التحرير الوطني ثم أصبحت هذه المصلحة تابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، والتضارب في المعلومات هنا ربما راجع لاختلاف المصطلحات والتسميات، أما بخصوص السنة فالأرجح هي سنة 1958م وذلك بالنظر إلى السنوات التي أنتجت فيها الأفلام من قبل هذه المصلحة كفيلم اللاجئين مثلا الذي كان من إخراج بيار كليمون تم إنتاجه من قبل مصلحة السينما التابعة لجبهة التحرير الوطني في سنة 1958م ويعتبر أول فيلم تنتجه هذه المصلحة.

وقد توالى الأفلام المنتجة بين 1960 و1962م بالرغم من الظروف الصعبة والوسائل المادية المحدودة بالإضافة إلى السينمائيين الذين تنقصهم التجربة، ولكن كانت هذه الأفلام شهادة هامة وبرهانا ملموسا على تلك المرحلة الصعبة.

**أفلام السينما الثورية:** تم إنتاج العديد من الأفلام خلال الفترة الممتدة من 1957 إلى غاية 1962م، وقد تطرقت معظم هذه الأفلام إلى المواضيع نفسها ومتمثلة في فضح جرائم المستعمر وتصوير معاناة الشعب الجزائري تحت وطأة الاحتلال، والثورة التحريرية بكل جوانبها وأبعادها وخلفياتها الميدانية والإنسانية، وأغلبها من إمضاء مخرجين فرنسيين آمنوا بنبل القضية الجزائرية، والملاحظ كذلك أن معظمها كان بالأبيض والأسود، وأنها أفلام وثائقية بالدرجة الأولى كان الهدف منها خدمة الثورة كوسيلة إعلامية أو

إعلامية مضادة للدعاية الفرنسية، كما أجمع الكثير من السينمائيين على افتقار هذه الأفلام للجانب الجمالي والفني وهو أمر منطقي، فالسينما الثورية لكي تكون حقا ثورية عليها أن تتخلى عن بعض القيم الجمالية مكتفية بنقل فكرها الإيديولوجي، ومن بين أبرز هذه الأفلام <sup>(30)</sup> نذكر:

1- **مدرسة التكوين السينمائي (l'Ecole de Cinéma):** هو فيلم وثائقي قصير باللغة الفرنسية من إخراج رونييه فوتيه سنة 1957م، يصور هذا الفيلم مدرسة التكوين السينمائي التي أنشأتها جبهة التحرير الوطني في الولاية الأولى كما سبق وذكرنا <sup>(31)</sup>.

2- **الجزائر أمة (une Nation l'Algérie):** فيلم وثائقي مدته 25 دقيقة من إنتاج مدرسة التكوين السينمائي ومن إخراج رونييه فوتيه سنة 1957م، غير أن هناك من يرجع سنة إنتاجه إلى 1955م وتم عرضه بفرنسا <sup>(32)</sup>، حاول فوتيه من خلال هذا الفيلم أن يؤكد على أن الجزائر تختلف كل الاختلاف عن فرنسا سواء من حيث التاريخ والجغرافيا واللغة والثقافة والحضارة... إلخ <sup>(33)</sup>، وقد صور فوتيه هذا الفيلم ردا على فرانسوا ميتران الذي صرح بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، فرد فوتيه: "إذا كانت الجزائر هي فرنسا، فإن الجزائريين لهم الحق كفرنسيين في أن يشرحوا لماذا يشعرون بالاختلاف، وإنني أملك الحق في الذهاب بالكاميرا الخاصة لطرح بعض الأسئلة على هؤلاء الفرنسيين الذين لا يرغبون أن يكونوا فرنسيين على الإطلاق" <sup>(34)</sup>.

3- **الجزائر الملتهبة (l'Algérie en Flammes):** من إخراج رونييه فوتيه وهو فيلم وثائقي قصير باللغة الفرنسية والألوان، طوله 23 ملم، ومدته 23 دقيقة، ركبت صورته في برلين الشرقية وعرض في الدول الأوروبية <sup>(35)</sup>، ويروي هذا الفيلم أحداث الثورة التحريرية من يوم اندلاعها.

4- **الهجوم على مناجم الونزة (L'attaque des mines de l'Ouenza):** فيلم وثائقي قصير بالأبيض والأسود، مدته 6 دقائق وطوله 16 ملم، من إخراج طلاب مدرسة التكوين السينمائي سنة 1957م، يصور هذا الفيلم إحدى العمليات المسلحة الناجحة لجيش التحرير الوطني على مناجم الحديد والصلب، ويعطي فكرة عن الحرب التي يقودها جيش التحرير ضد اقتصاد العدو.

5- **ممرضات جيش التحرير الوطني (les Infirmières de l'ALN):** فيلم وثائقي قصير بالأبيض والأسود من إخراج طلاب مدرسة التكوين السينمائي مدته 6 دقائق وطوله 16 ملم، ويعد هذا الفيلم الذي أخرج سنة 1957م أول شهادة حول دور المرأة في الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسي.

6- **اللاجئون (les Réfugiés):** من إنتاج شبكة جونسون (Réseau Jeanson) سنة 1957م ومن إخراج سيسيل كوجيس (Cécile de Cujis)، وهو فيلم وثائقي بالأبيض والأسود مدته 14 دقيقة وطوله 16ملم، ويكشف الفيلم المعاناة اليومية التي يعيشها الجزائريون على الحدود الشرقية للوطن، ويصور عملية تهجير هؤلاء السكان نحو المحتشدات الواقعة على الحدود الجزائرية التونسية.

7- **لاجئون (Réfugiés):** من إنتاج مصلحة السينما التابعة لجبهة التحرير الوطني سنة 1958م، ومن إخراج وتصوير بيار كليمون (Pierre Clément)، وهو فيلم قصير مدته 15 دقيقة بالأبيض والأسود وطوله 35ملم باللغة الفرنسية والإنجليزية، ويصور معاناة اللاجئين الجزائريين.

8- **ساقية سيدي يوسف (Sakiet Sidi Youssef):** من إنتاج مصلحة السينما لجبهة التحرير الوطني سنة 1958م، من إخراج وتصوير بيار كليمون، وهو فيلم قصير مدته 15 دقيقة بالأبيض والأسود وطوله 35ملم باللغة الفرنسية والإنجليزية، ويصور قصف الطيران الفرنسي لساقية سيدي يوسف وما نتج عنه من تدمير، وقد تسبب هذا العمل في إثارة الرأي العام الدولي ضد فرنسا بشكل كبير، إذ كانت رسالة الفيلم قوية ومباشرة ولا تقبل أي تبرير، وبعد مدة من إنتاج الفيلم تم القبض على صاحبه إثر اشتباكه بالجزائر وسجن لعدة سنوات<sup>(36)</sup>.

9- **جزائرننا (Djazairouna)<sup>(37)</sup>:** من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1960م، وهو فيلم وثائقي قصير مدته 25 دقيقة وحجمه 35ملم وباللغة العربية، من إخراج جمال شندرلي، الأخضر حمينة وبيار شولي، ويعتبر أول محاولة من جانب الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية موجهة للرأي العام العالمي، وعرض يوم 6 نوفمبر 1960 على إطارات الحركة الوطنية بتونس، ثم على الصحفيين يوم 8 من نفس الشهر<sup>(38)</sup>، كما عرض أيضا في نيويورك في ديسمبر 1960 أثناء الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتذكر جريدة المجاهد أن فيلم "جزائرننا" قد عرض في المهرجان السينمائي العالمي الذي عقد في مدينة ليبزغ في ألمانيا الشرقية، وأحرز جائزة المهرجان، كما أحرز جائزة الجودة من طرف محطة التلفزيون الألمانية الشرقية<sup>(39)</sup>.

ويقدم لنا أبو القاسم شهادته حول الفيلم، إذ يقول: "...والحق أننا شاهدنا مع غيرنا هذا الفيلم في مناسبتين ونحن طلاب في القاهرة وأمريكا، فكان له وقع كبير علينا وعلى غيرنا من المشاهدين، فقد شد أنظارنا وأبكى قلوبنا قبل

عيوننا واختلط عندنا الإعجاب بالبطولة والمقاومة الشرسة بالمناظر الطبيعية الخلابة، وعادت جزائرننا فعلا إلينا بعد أن كنا نعيش الواقع الاستعماري الذي حاول أن ينتزع منا هويتنا، فكنا نحس بالتلاحم ووحدة الحاضر بالمستقبل<sup>(40)</sup>.

**10- بنادق الحرية (les Fusils de la Liberté):** من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1961م، وهو فيلم وثائقي قصير مدته 20 دقيقة وحجمه 35 ملم، من إخراج جمال شندرلي ومحمد لخضر حمينه، وصور الفيلم الصعوبات التي تواجهها فرقة من جيش التحرير الوطني أثناء نقل السلاح من تونس عبر الصحراء الجزائرية<sup>(41)</sup>.

**11- عمري ثماني سنوات:** فيلم قصير أخرجه يان (Yann) وأولفا لوماسون (Olga le Masson) بالاشتراك مع رونية فوتيه، ومن إنتاج شبكة موريس أودان (Maurice Audin)، أنجز الفيلم في فرنسا بشكل غير مشروع انطلاقا من رسوم الحرب التي نفذها مجموعة من الأطفال في معسكرات اللاجئين بتونس<sup>(42)</sup>.

**12- صوت الشعب (la Voix du peuple):** من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1961م، وهو فيلم وثائقي قصير مدته 20 دقيقة وطوله 35 ملم من إخراج جمال شندرلي ومحمد لخضر حمينه، وقد أدمجت مادته بمادة فيلم جزائرننا ليصبح فيلم باسم صوت الشعب، وليقول أن المعركة بدأت قبل 1954م.

**13- ياسمينة (Yasmina):** من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1961م، وهو فيلم قصير مدته 20 دقيقة وطوله 35 ملم، من إخراج جمال شندرلي ومحمد لخضر حمينه، ويعتبر فيلم ياسمينة أول فيلم خيالي جزائري يعتمد على حكاية طفلة صغيرة فقدت والديها بعد انفجار قنبلة، وحسبما يذكر أحمد بجاوي أن اختيار الطفلة لم يكن صدفة بل لكونها ترمز للجزائر التي تعاني من ويلات الاستعمار، وقد عرض هذا الفيلم إلى جانب فيلم " جزائرننا" في نيويورك في ديسمبر 1960م<sup>(43)</sup>.

**14- خمسة رجال وشعب (Cinq hommes et un peuple):** من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1962م، مدته 43 دقيقة وطوله 16 ملم من إخراج وتصوير وتركيب رونية فوتيه، تابعت الكاميرا في هذا الفيلم وعلى الحدود الجزائرية التونسية مكان تواجد وحدات من جيش التحرير الوطني، الخطوات الأولى للزعماء الخمسة: أحمد

بن بلة، محمد بوضياف، رابح بيطاط، حسين آيت حمد، ومحمد خيضر، بعد إطلاق سراحهم من معتقل قصر أولنوي بفرنسا<sup>(44)</sup>.

**رواد السينما الجزائرية الثورية:** يعتبر ميدان السينما الثورية ميدان إعلامي جديد تولاه الجزائريون رفقة أصدقائهم خاصة الفرنسيين، في ظروف صعبة تتميز بقلة الخبرة ونقص المال وغياب الأمن وندرة التأليف، وعلى الرغم من ذلك قدم هؤلاء السينمائيون خدماتهم لجبهة التحرير الوطني، وأنتجوا العديد من الأفلام عن الثورة الجزائرية وإلهم يعود الفضل في تأسيس النواة الأولى للسينما الجزائرية، وأبرز هؤلاء نذكر:

**1- جمال شندرلي(1920-1990م):** من السينمائيين الجزائريين الأوائل له باع طويل في المهنة، عمل كمصور سينمائي ومصور حر لحساب الوكالات وخصوصا وكالات الأحداث المصورة الفرنسية، بعد انضمامه لجبهة التحرير الوطني سنة 1955م، قام بتغطية العديد من الأحداث المتصلة بالثورة التحريرية كما صور في جانفي 1956 جنازة الدكتور بن زرجب الذي تعرض للتعذيب حتى الموت على يد جيش الفرنسي والمظاهرات التي أعقبتها في تلمسان.

التحق جمال شندرلي الذي كان يحمل كاميرتين بجبال الولاية الثانية في ديسمبر 1956 ليلتقط أولى الصور الجزائرية للثورة ومن بين الصور التي التقطها والتي تم تحويلها فيما بعد لفيلم "جزائرنّا" عملية قصف بالنابالم في منطقة الميلية، ونظرا لأهمية الصور قرر العودة لتونس وإرسال الصور لشقيقه عبد القادر شندرلي في الأمم المتحدة لاستخدامها ضد فرنسا التي كانت تدعي عدم استعمال النابالم في الجزائر.

كما تولى جمال شندرلي مهمة تنسيق عمليات التصوير والجوانب التقنية للأفلام التي شارك فيها على أكثر من صعيد، ومن بينها كما ذكرنا سابقا ياسمينة، صوت الشعب، اللاجئين، بنادق الحرية، وجزائرنّا<sup>(45)</sup>.

**2- رونييه فوتيه (Vautier René)(1928-2015م):** سينمائي فرنسي، يعتبر رمز من رموز السينما المناضلة، وهو صاحب أول فيلم فرنسي مناهض للاستعمار (إفريقيا 50)، تعود علاقته بالثورة الجزائرية إلى سنة 1955م حيث أنتج فيلم "الجزائر امة" لكنه منع من العرض في فرنسا، سافر رونييه فوتيه للجزائر في نهاية 1956م فكان من رجال السينما الفرنسيين النادرين الذين قاموا بالتصوير في جبال جيش التحرير الوطني، أشرف على إنشاء مدرسة التكوين السينمائي بتبسة، كما أنتج و ساهم في إنتاج العديد من الأفلام سابقة الذكر.

تعرض للاعتقال سنة 1958م بأمر من قيادة جبهة التحرير الوطني وأمضى خمسة عشر شهرا في السجن بتونس بسبب شدة مبالغته في مساندة الثورة وشدة ولعه بتصوير المجاهدين في الجبال، شارك بعد الاستقلال وإلى غاية سنة 1966م في إنشاء "المركز السمعي البصري" في الجزائر ووضع خبرته الفنية والتقنية، تحت تصرف الشباب الجزائريين الراغبين في ممارسة فن السينما، فكان ذلك نواة لتشكيل جيل من السينمائيين الجزائريين، عاد رونييه إلى فرنسا سنة 1966م ليجد نفسه محاصراً في المشهد الفرنسي، بالنظر إلى سوابقه في الوقوف إلى جانب الجزائريين، ومن ثمار هذا الحصار منع عرض أفلامه التي حصدت جوائز مهمة فيما بعد، مثل الجائزة الدولية للنقد في مهرجان "كان" عام 1972م عن فيلمه "أن تكون في العشرين بالأوراس" (Avoir vingt ans dans les Aurès)، وقد حظي بعدة تكريمات في الجزائر على غرار الاحتفاء الخاص بمهرجان وهران للسينما العربية في 2012، والتكريم الأخير في شهر نوفمبر 2014م بسنيماتيك الجزائر بمناسبة ستينية الثورة<sup>(46)</sup>.

3- **بيار كليمون (Pierre Clément)** (ت:2007م): مخرج سينمائي فرنسي، جاء لتونس بطلب من رونييه فوتيه لتصوير فيلم "تونس المستقلة"، أدمج بيار كليمون في فرقة جبهة التحرير وصور فيلم "ساقية سيدي يوسف"، كما أخرج العديد من الأفلام "d'autres regards Algérie"، "l'ALN"، "Réfugiés Algériens" بالاشتراك مع جمال شندرلي، تم الحكم عليه بـ 10 سنوات سجنًا بتهمة المس بالامن الخارجي للدولة الفرنسية وتم العفو عنه في أكتوبر سنة 1962م<sup>(47)</sup>.  
ويصف بيار شولي بيار كليمون قائلاً: "لقد كان رجلاً عذبا لا محالة، غاية في التواضع، أي أنه يقوم بمهنته كسينمائي بحساسية كبيرة...إنه الرجل الذي يجلس خلف الكاميرا ويريد بكل بساطة تقديم شهادته بالصورة، لم يكن يحب الظهور ولفت الانتباه"<sup>(48)</sup>.

وغيرهم من السينمائيين من أمثال يان لو ماسو (Yan le Masson)<sup>(49)</sup>، سيسيل دي كوجيس (écile de Cujis)<sup>(50)</sup>، ستيفان لابوفيتش، زدافكو بيكار، وكارل غاس<sup>(51)</sup>.  
**خاتمة:** تعتبر نشأة وتجربة السينما في الجزائر تجربة فريدة من نوعها على غرار باقي تجارب السينما في العالم، فهي سينما ثورية مناضلة ولدت من رحم الثورة الجزائرية، ونشأت ومعها عوامل حيويتها كفن إنساني ملتزم بقضايا الناس والوطن، لذلك نجدها في معظم أفلامها خلال الفترة المدروسة (1957-1962م) لا تهتم بالجانب الجمالي بل تركز على الجانب الإيديولوجي فلا تعتمد على قصة وسيناريو والحيل السينمائية والمؤثرات الخاصة، بل على الشهادات الحية دون تزييف وتحريف، وكان هدفها الأساسي فضح ممارسات الاستعمار الفرنسي ونقل الثورة للرأي العام العالمي وقد نجحت في ذلك لحد بعيد بالرغم من النقائص والظروف الصعبة، فقد كانت أداة دعائية وتعبئة فعالة.

## الهوامش:

- (1) Louis Lumière (1864-1948): من رواد السينما الفرنسية والعالمية، ويجمع العديد من المؤرخين والنقاد على أن التاريخ الرسمي لميلاد السينما يرجع إلى عرض الإخوة لومير (أوغست و لويس) في 25 ديسمبر 1895.
- (2) عبد الرزاق هلال، تاريخ السينما (التصوير ممنوع) صورة الجزائري على الشاشات الفرنسية، تر: موسى أشرشور، رافار، الجزائر، 2013، ص31.
- (3) Félix Mezguich: ولد بمدينة الجزائر سنة 1871م، بعد انتهائه من الخدمة العسكرية، و كان يحمل رتبة عريف في الفرقة الثالثة للمشاة في منطقة أرل، قابل الأخوين لومير بمدينة ليون في 5 جانفي 1896م، ليصبح واحدا من أشهر تقنيي شركة لومير، وبعد راند المحققين في نشرات الأخبار المصورة بعد الحرب العالمية الأولى، توفي سنة 1949م، ذكرياته جمعت في كتاب بعنوان "آلة التدوير"، وهو مؤلف غالبية الأفلام القصيرة التي تم تصويرها في الجزائر، خاصة في مدن الجزائر وتلمسان ومعسكر والجنوب الصحراوي، كل تحقيقاته تتسم بروية فلكلورية وغرائبية، عبد الرزاق هلال، المرجع نفسه، ص ص (140-141).
- (4) عيسى شرايطية، الريف الجزائري في السينما الاستعمارية "الصورة الإيديولوجية-دراسة سوسولوجية"، رسالة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، ديسمبر 1993، ص 86.
- (5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) ج5، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص303.
- (6) سليم بنقة، "المتخيل الكولونيالي من وهم المكتوب إلى زيف المرئي المضمر والمنظور"، مجلة المخبر، العدد 8، 2012، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص4.
- (7) Abdelghani Merherbi, les algériens au miroir du cinéma coloniale, contribution a la sociologie de la decolonisation, édition S.N.E.D, 1982, pp(40-41).
- نقلا عن منصور كريمة، اتجاهات السينما الجزائرية في الألفية الثالثة، أطروحة دكتوراه في الفنون الدرامية، جامعة وهران (2012-2013)، ص29.---- (8) عبد الرزاق هلال، المرجع السابق، ص34.
- (9) للتوسع أكثر حول موضوع السينما الاستعمارية، ينظر: سيباستيان دوني، السينما وحرب الجزائر دعاية على الشاشة من أصول النزاع المسلح إلى إعلان الاستقلال (1954-1962)، تر: يوسف بلوج وهاجر قويدري، دار سيديا، الجزائر، 2013.
- (10) عبد الرزاق هلال المرجع نفسه، ص33.---- (11) سيباستيان دوني، المرجع نفسه، ص79.
- (12) الطاهر حناش (1898-1973): اسمه الحقيقي الطاهر بن قويدر بلحناش، اضطر للهجرة الى ليون لتعلم مهنة الإخراج السينمائي، أول تجربة له كانت سنة 1920، وفي 1922 بدأ مشواره الفني ككومبارس ثم كممثل، قبل أن يصبح مساعد مصور، ثم بعدها مدير تصوير، وأخيرا مخرجا، احتك بمشاهير السينما الفرنسية خلال النصف الاول من القرن العشرين، من بينهم أندريه هيوغون، راكس إنغرام، هاري بور، مارسيل باتيول، فرنانديل، رايمو، جان غابان، جان رونوار، أربيل غانس، جوليان دوفيفيه، أنابيل، وغيرهم. ويعتبر المحترف الجزائري الوحيد الذي يملك بطاقة صادرة عن هيئة فرنسية (تحت رقم 7951)، أخرج العديد من الأفلام من بينها " غواصو الصحراء"، وهو شريط وثائقي عن حفاري الأبار، وهم فئة غير معروفة، بوسعهم أن ينزلوا إلى أعماق سحابة والمكوث داخل الماء لمدة زمنية مدهشة، عبد الرزاق هلال، المرجع نفسه، ص ص (141-142).---- (13) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص304.
- (14) أحمد بجاوي، السينما وحرب التحرير (الجزائر، معارك الصور)، تر: مسعود جناح، منشورات الشهاب، الجزائر، 2014، ص 275.
- (15) مراد وزناجي، الثورة التحريرية في السينما الجزائرية (1957-2012) دراسة تحليلية وتوثيقية للأفلام السينمائية الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، 2014، ص39.
- (16) النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص33.
- (17) للتوسع حول حيثيات اللقاء بين عابن رمضان ورونيه فوتيه أنظر: احمد بجاوي، المرجع السابق، ص ص (69-71).
- (18) عبد الغني إرشن، رهانات الصورة الفيلمية الوثائقية في صراع الذاكرة بين الجزائر وفرنسا تحليل سيميولوجي لفيلمي "سينماتيو الحرية" و "العدو الحميم"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال، (2010-2011)، ص88.
- (19) منصور كريمة، المرجع السابق، ص35.---- (20) جان الكسان، السينما في الوطن العربي، (د.م)، 1982، ص217.
- (21) أحمد بجاوي، المرجع السابق، ص74.---- (22) مراد وزناجي، المرجع السابق، ص 40.

- (23) أحمد بجاوي، المرجع نفسه، ص70.---- (24) نفسه.
- (25) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج10 (1954-1962م) مرحلة الثورة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص392.---- (26) أحمد بجاوي، المرجع نفسه، ص92.
- (27) أنظر إعلان لإحدى هذه الأسطوانات في جريدة المجاهد، العدد 83، 28 نوفمبر 1960، ص2، حيث نشرت صورة للأسطوانة و كتبت المجاهد معلقة عليها: " نشرت وزارة الأخبار في الحكومة المؤقتة للجمهورية أسطوانتين تشملان على أناشيد وأغاني جزائرية وقع تسجيلهما في بوعسافيا، والفرقة الفنية الجزائرية هي التي تولت تسجيل الأناشيد والأغاني وتستغرق إذاعة الأسطوانتان ساعتين".
- (28) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج10، ص387.---- (29) عبد الغني إرشن، المرجع السابق، ص89.
- (30) حول هذه الأفلام ينظر: جمال الدين خياري، "السينما الجزائرية في خدمة الثورة منذ عشرين سنة (1956-1976)"، مجلة أول نوفمبر، العدد15، أبريل 1976، الجزائر، ص51.---- (31) مراد وزناجي، المرجع السابق، ص52.
- (32) عبد الغني إرشن، المرجع السابق، ص91.---- (33) مراد وزناجي، المرجع نفسه، ص53.
- (34) أحمد بجاوي، المرجع السابق، ص ص(76-77).---- (35) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج10، ص388.
- (36) انظر مراد وزناجي، المرجع السابق، ص ص (55-60)، وأبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص ص (388-389).
- (37) أنظر مقال بجريدة المجاهد تحت عنوان " أول فيلم تنتجه الجزائر " العدد 82، 14 نوفمبر 1960، ص2.
- (38) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص387.---- (39) جريدة المجاهد العدد83، 28 نوفمبر 1960، ص2.
- (40) أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص385.---- (41) مراد وزناجي، المرجع السابق، ص62.
- (42) منصور كريمة، المرجع السابق، ص40.---- (43) أحمد بجاوي، المرجع السابق، ص ص(94-95).
- (44) مراد وزناجي، المرجع السابق، ص65.---- (45) أحمد بجاوي، المرجع نفسه، ص ص (61-68).
- (46) رشيد خطاب، أصدقاء الخاوة (الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية، قاموس بيوغرافي)، تر: مصطفى ماضي، دار الخطاب، الجزائر، 2013، ص ص (314-318).---- (47) نفسه، ص366.---- (48) أحمد بجاوي، المرجع السابق، ص77.
- (49) رشيد خطاب، المرجع السابق، ص449.---- (50) نفسه، صص84-85.---- (51) أ. بجاوي، المرجع السابق، صص86-87.

### A summary

the Algeria cinema play an important role during the Algerian revolution against the French advertising media, It produced a lot of films based on real evidence about the Algerian mudjahidine which reflected their difficult life in the mountains. The Algerian cinema achieved a great success for escample, it escposed the French persecution and crimes against the Algerian people, Despite the absence of security and the lack of escperience and money the revolutionary cinema a spreaded over the word. This article is about the appearance of the Algerian cinema during the years of revolution and the most famous films that were produced.